



الله أكبر

أعينهم إلى أفواههم...

نقضي حاجتنا بصعوبة شديدة... نتزاحم على مكان لا يتسع إلا لفرد واحد لقضاء حاجته، كثيرون منا تعسرت أمعاؤهم، وأصابها الإمساك قرفا... وضيقا...

قبيل الفجر يُستدعى بعض الأسرى لاستجوابهم والتحقيق معهم... فيعودون صفر الوجوه... عابسين... لا ينطقون... وقد يقذفون من باب العنبر على نقالة للمرضى... فتستقبلهم الأرض الخشنة، وإذا ما حاول أحد أن يلتقط منهم كلمة واحدة، تكشف عن شيء خارج هذا العنبر اللعين... فلا يجد منهم أي حركة!...

هكذا وجد الجميع أنفسهم مضرين عن الطعام!... برغم الجوع الشديد فالمرتبة خير من هذه الحياة التعسة... البغيضة!... خلال هذه السنوات العدة التي قضيناها في هذا السجن... جيء بأحد الحاخامات ليعظنا ويهدئ من ثورتنا... فأخذ يقول:

«العرب واليهود أبناء عمومة... ومن ثم يجب أن نتفاهم ونتحاب، ونترك البغضاء والشحناء والثورة... ونعيش في أمان طاعة الله...» وانتهى الوعظ الذي قابلناه جميعا، بالسخرية والابتسامات الخافتة المتبادلة بيننا... برغم ما نحن فيه من هم وإعياء...

- عقب على ذلك أحد الفلسطينيين المسجونين معنا قائلا: لقد علمت أنهم هدموا خمسة عشر منزلا... ومحلين تجاريين في قرينتنا بالمدافع والدبابات... كما دمروا أشجار الزيتون والمواالح فيها... متى يتاح لنا أن ننتقم...؟

- ويقول سجين مصري ما أكثر ما سمعنا عن تدريبات المصريين على تجاوز خط بارليف... بينما هذا الخط يعلو ويزداد تحصينا يوما بعد يوم... واليهود يببنون المستعمرات داخل الأرض المحتلة... دع أن يصادروا الأرض... ويطردوا أهلها... والعرب من حولهم لا يحركون ساكنا... سوى الشجب... والرفض.

- ويواصل سجين ثالث الحديث: والأدهى من ذلك طمعهم في المسجد الأقصى... لا ليحافظوا عليه، بل ليهدموه كي يبنا هيكلا سليمان المزعوم مكانه...

ويضيف سجين رابع... منتهى التبجح أن يقول رئيسهم بعد كل هذا القتل والتدمير والعسف والعدوان: «لا يملك أحد أن يحاكم إسرائيل...!» بل يرفضون زيارة لجنة حقوق

بعد حرب الأيام الستة سنة ١٩٦٧م، ... وجدنا أنفسنا مائة وخمسين أسيرا في عنبر لا يتسع لنصف هذا العدد، بأحد السجون التي أنشأها اليهود بسييناء، ... قيل لنا إن هناك مفاوضات تجري تحت إشراف الصليب الأحمر الدولي لتبادل الأسرى بين المصريين واليهود... لكن متى يتم إطلاق سراحنا...؟



د. سعد أبو الرضا
مصر

ضيقنا جميعا بهذه الحال التي تنسي الإنسان آدميته... فقد مضى علينا يومان ونصف... هجر النوم عيوننا، برغم ما نشعر به من إعياء وإجهاد... الفراش الذي يغطي الأرض للنوم أو الجلوس مهترئ تغلب عليه فتحاته التي تكشف عن خشونة الأرض...

أما الطعام، وما أدراك ما الطعام؟!... حينما يفتح باب العنبر فجأة يدلف منه شخصان ممتلئان يحملان بين أيديهما وعاء كبيرا هو أقرب ما يكون لفتحة بئر خربة، ... أو صهرريج أسود مهجور، يترك وسط العنبر ليتزاحم عليه من استبد بهم الجوع... فينظرون إلى ما بداخله، فلا يميزون أي نوع هو... وهل هذا شيء يؤكل... أم غير ذلك...؟ من ثم فما أكثر من يعودون أذراجهم، دون أن يتجاوز ما قدم إليهم في الإناء

عقد جدتي

هيفاء بنت محمد الفريخ
السعودية

لقد تحولت حبات عقد جدتي اللؤلؤة البيضاء إلى حبات مقحمة في السواد! لا. لا. إلا هذا العقد. إنه هديتها لي عندما تفوقت العام الماضي على الصف.

استيقظت من نومي فزعة من ذلك الحلم المزعج، نثقت عن يساري، استعدت بالله من الشيطان الرجيم، شعرت وكأن فراشي قد صنع من شوك القتاد؛ إذ إنه أقض مضجعي فلم أستطع النوم.

الحل إذاً أن أطمئن على العقد بنفسي. يمت وجهي شطر خزانتي لأخرج العقد، وأتأكد من لونه. فتحت علبة.

آه، حمداً لله ما زالت حباته بيضاء كقلب التي أهدتني إياه. تناولته لأقبله. لكن!!

حباته تناثرت على أرض الحجرة بعد أن تقافزت بصورة أثار دهشتي، أو بالأحرى فزعني. انتابتنى أفكار سيئة، ورؤى مخيفة. عاودني القلق لكن بصورة أشد.

أن تصبح حبات اللؤلؤ سوداء خير من أن تسقط وتتناثر. ما الحكاية؟! ما هذه الوسواس الشيطانية؟! السبيل الوحيد للخلاص منها الصلاة، نعم فالؤمن يجد راحته في الصلاة. هكذا قالت المعلمة.

توضأت، صليت، دعوت من كل قلبي لجدتي بأن يشفيها الله؛ ليعود الفرح إلى منزلنا من جديد.

رجعت إلى سريري لأحاول بشتى الوسائل أن أستجدي النوم، لكنه ظل يعاندني حتى قبيل الفجر.

أمي. نعم أمي هي المرفأ الأخير الذي ستقف عنده سفينة أفكار المزعجة. سأحتضنها وأنام بجوارها ولن أنبس ببنت شفة عما رأيته حتى لا تقلق.

سأبقت درج السلم؛ لأهبط إلى الطابق السفلي حيث تنام أمي جوار غرفة جدتي استوقفتني أصوات غريبة. حاولت أن أميزها، وعندما فشلت أسرعت لأفاجأ بصور أغرب.

خالي، وأخوأي وأبي في هذا الوقت المتأخر. مطاطني الرؤوس. واجمين. أما أمي فقد كانت تبكي، لا بل تنتحب وقد انكفأت على جسد جدتي النحيل المسجى تخمه وتقبله.

أدركت الآن سر انفرط العقد.

تمتمت بسؤال جرح حنجرتي: أو ماتت جدتي؟! لا أعتقد أن ألما في الوجود يساوي ذلك الذي خز في أضلعي، ولا ناراً في الدنيا تجاري التي اشتعلت بين جوانحي.

لا أعرف متى ماتت، أو كيف ماتت، لا أعرف لماذا انفرط العقد اليوم بالذات؟! أنا لا أعرف أشياء كثيرة، ولكن شيئاً واحداً هو الذي أعرفه، وهو أنني: أحب قلبها الأبيض الطاهر الذي سيظل يحيا معي رغم رحيل جسدها عني؛ لذا هرعته إلى غرفتي، وجمعت الحبات المتناثرة، ونظمتها رغم أن في داخلي غصة مؤلمة، بيد أنني تغلبت عليها بابتسامة حزينة من شفقتي التي ظلت تهمهم طوال نظمي للعقد. ما انفرط العقد الأبيض، ولا مات قلب جدتي الأبيض.

الإنسان التابعة للأمم المتحدة لسجننا ولأرض المحتلة...!

وتتراسل بينهم الدعوات إلى الله أن يفك أسرهم ويردهم إلى ذويهم وأن يظهر سيناء وفلسطين، والجولان منهم... ثم يعود كل منهم إلى مكانه من العنبر منكسر النفس... ولا أمل إلا في عفو الله ورحمته...

وذا صبح مبكر في يوم عيد من أعياد اليهود أخذ يصك سمع الجميع دوي انفجارات وقنابل من بعيد وأضواء شديدة الاشتعال لكنها سرعاً ما تختفي بعد أن ترسل أشعتها خلال نوافذ السجن الضيقة. استيقظ الجميع مذعورين... وكان حرباً تدور بالقرب من منطقة العنبر الذي يضمنا... بدأت أسئلة على شفاه بعض السجناء ولكنها كأحلام الجائعين بالخبز... هل يهاجم العرب إسرائيل؟! لكن كيف بجناز المصريين خط بارليف المنيع؟ كما يزعم اليهود... كيف يتجاوزون الدشم الخرسانية الضخمة القابعة خلفه... وصمت الجميع..!

لقد مضت عدة سنوات، كان يتردد على مسامعهم في بعض الأيام قليل من هذه الانفجارات... وكان يقال لهم إنها تدريبات جيش إسرائيل في صحراء سيناء... ويسألون أنفسهم متى يدرك العرب واجبهم... ويحرون أرضهم... ويتم الإفراج عن السجناء العرب...؟ وهكذا ينتهي الموقف بعودة كل منهم إلى ما كان فيه من هم ومعاناة، وإحساس بالفقد والضياع...

لكن هذه المرة تستمر الانفجارات، ويتكرر صوت القنابل التي تقذفها الدبابات، وتقرب الأصوات بصورة أكثر مما اعتادوه، وأخذ الجميع بنبه بعضهم بعضاً كي يرهف السمع فما يصل إلى آذانهم اليوم غير ما ألفوه.

وبدأ إحساس جديد يسري في نفوسهم.. توجه إلى الله أن يحقق الآمال، وتحرر الأرض، وأن يتم الإفراج عنهم كما سرى بينهم شيء من التحفز لكسر الأبواب، وأخذت النظرات المتبادلة بينهم تحمل هذه الآمال وتلك الرغبات.. وإذا بأصوات تهدم جدران قريبة من العنبر إثر بعض القذائف التي سقطت على السجن فأصابته هذه الأماكن...، مقترنة بأصوات مدوية... الله أكبر... مما جعل بعض الحراس ينتشرون في أنحاء السجن. ويسمع وقع أقدام خارج العنبر غير ما اعتادوه...

وتتردد تحذيرات الحراس المزعجة... التي سرعاً ما اختفت إثر مهاجمة فرقة عسكرية مصرية للسجن حطمت أبوابه التي بقيت وأسرت الحراس... وجد السجناء أنفسهم وجهاً لوجه أمام هذه الفرقة العسكرية المصرية التي ترددت أصداً تكبير جنودها وتهليلهم... أخبرهم أحد ضباطها أنه تم اجتياح خط بارليف... وأن سيارات نقل الجنود سوف تصل سريعاً لنقلكم جميعاً فلسطينيين ومصريين... إلى مصر.